

التحليل المفاهيمي في تكيف الاختبارات النفسية Conceptual analysis in the adaptation of psychological tests

جاء الله عبد الباري*

جامعة الوادي (الجزائر)، مخبر علم النفس العصبي المعرفي والاجتماعي

djaballah-abdelbari@univ-eloued.dz

تاريخ الاستلام : 2026/12/25 ؛ تاريخ القبول : 2026/02/19

ملخص : هدفت هذه الدراسة إلى إبراز أهمية التحليل المفاهيمي كمرحلة أساسية من مراحل تكيف الاختبارات النفسية، وكما هدفت الدراسة أيضا إلى تحديد خطوات التحليل المفاهيمي بشكل تفصيلي؛ فأُسفرت الدراسة على النتائج التالية: تشمل الأهمية خمسة عناصر أساسية وهي: ضمان صلاحية البنية، الكشف عن الانحياز الثقافي، تحقيق التكافؤ، التفسير السليم للنتائج، مصداقية وموثوقية التكيف؛ وتشمل عملية التحليل المفاهيمي سبع خطوات وهي: تحديد البنية النفسية الأساسية، تحديد مدى توافق البنية النفسية مع الثقافة الهدف، تحليل المكونات السلوكية والفعلية للمفهوم، تحليل شبكة العلاقات الدلالية والنظرية للمفهوم، تحديد مصادر الانحياز المحتملة، تحديد مستوى التكافؤ المطلوب، التوثيق والمراجعة.

الكلمات المفتاحية : تكيف؛ اختبار نفسي؛ تحليل مفاهيمي؛ بنية نفسية.

Abstract : This study aimed to highlight the importance of conceptual analysis as a fundamental stage in the adaptation of psychological tests. The study also aimed to identify the steps of conceptual analysis in detail. The study yielded the following results: The importance includes five elements: ensuring the validity of the structure, detecting cultural bias, achieving equivalence, correct interpretation of the results, and the credibility and reliability of the adaptation. The conceptual analysis process includes seven steps: identifying the basic psychological structure, determining the extent to which the psychological structure is compatible with the target culture, analyzing the behavioral and actual components of the concept, analyzing the network of semantic and theoretical relationships of the concept, identifying potential sources of bias, determining the required level of equivalence, and documentation and review.

Keywords : Adaptation; psychological testing; conceptual analysis; psychological structure.

* جاء الله عبد الباري.

1- مقدمة

تُعَدُّ الاختبارات النفسية من أكثر أدوات القياس استخدامًا في ميادين علم النفس والتربية والصحة، لما توفره من بيانات موضوعية تساعد على فهم السلوك الإنساني والتنبؤ به، غير أن تصميم وتطوير هذه الاختبارات في بيئة ثقافية معينة يجعل استخدامها في بيئة أخرى محدود الدلالة ما لم يتم تكييفها بطريقة علمية صحيحة تضمن العدالة المفاهيمية والثقافية.

من هنا ظهرت أهمية تكييف الاختبارات النفسية كأحد الفروع المنهجية الدقيقة في علم النفس، والذي يهدف إلى تحقيق التكافؤ بين النسخ الأصلية والمترجمة من حيث الصدق، والثبات، والدلالة الثقافية، وقد لوحظت زيادة ملموسة في عدد الدراسات التي تستهدف تكييف وتطوير أدوات القياس النفسي للثقافة العربية، مدفوعة بوعي متزايد بالحاجة إلى أدوات ملائمة لغويًا وثقافيًا، ومع محاولة تطوير منهجيات القياس السيكومتري.

إنَّ تكييف الاختبارات النفسية ليس مجرد ترجمة لغوية، بل هو عملية علمية منهجية تهدف إلى الحفاظ على المعنى الأصلي للمفاهيم المقاسة، مع مراعاة الاختلافات الثقافية والاجتماعية بين المجتمعات؛ وقد شددت كل من الجمعية الأمريكية لعلم النفس (APA, 2014) واللجنة الدولية للاختبارات (ITC, 2017) على أن نجاح عملية التكييف يعتمد على مدى تحقيقها للتكافؤ الوظيفي بين النسخة المكيفة والأصلية، وليس على مجرد التطابق اللغوي.

أما في السياق العربي، فقد شهدت السنوات الأخيرة تطورًا ملحوظًا في وعي الباحثين العرب بأهمية المعايير السيكومترية، مع ظهور عدد من الدراسات التي استخدمت التحليل العاملي التوكيدي، والتحقق من تكافؤ القياس، ورغم هذا التقدم، ما تزال بعض التكييفات تركز على الجوانب اللغوية دون التعمق في التحليل البنائي، مما يحدّ من إمكانية تعميم نتائجها، ومع ذلك، فإن الاتجاه نحو التأكيد على التحليل البنائي المفاهيمي إلى جانب الإجراءات الأخرى يشكّل نقلة نوعية في البحث العربي، ويتطلع نحو نضج منهجي متزايد.

يُعَدُّ التحليل المفاهيمي الخطوة الأولى والأكثر أهمية في عملية تكييف الاختبارات النفسية، إذ يسبق أي ترجمة لغوية أو تعديل ثقافي، حيث يهدف إلى تحديد ما إذا كانت البنية النفسية (Construct) المقاسة في النسخة الأصلية من الاختبار تحمل نفس المعنى والدلالة في الثقافة المستهدفة؛ فبدون هذا التحليل، يصبح الاختبار مجرد ترجمة لغوية لا تضمن قياس المفهوم ذاته، مما يؤدي إلى أخطاء في الصدق المفاهيمي والانحياز الثقافي. (Van de Vijver & Leung, 1997)

ومن خلال هذا الطرح يمكن صياغة التساؤلين التاليين:

فما هي أهمية التحليل المفاهيمي كخطوة من خطوات تكييف الاختبارات النفسية؟

وما هي الخطوات العملية لتنفيذ التحليل المفاهيمي؟

2- أهداف الدراسة

- تهدف الدراسة إلى إبراز أهمية التحليل المفاهيمي كمرحلة أساسية من مراحل تكييف الاختبارات النفسية.
- تهدف الدراسة إلى تحديد خطوات التحليل المفاهيمي بشكل تفصيلي وعملي.

3- مفهوم التحليل المفاهيمي (Conceptual Analysis)

يشير التحليل المفاهيمي إلى العملية التي يتم من خلالها تحديد وتعريف المفهوم النفسي للخاصية أو السمة التي يقيسها الاختبار مثل (الذكاء، القلق، الدافعية، الرضا المهني...)، والتأكد من أن هذا المفهوم يتجلى في السلوك الإنساني بنفس الطريقة عبر الثقافات المختلفة؛ فالمفاهيم النفسية ليست كيانات عالمية ثابتة، بل تتأثر بالبيئة الاجتماعية والقيم الثقافية السائدة (Berry, Poortinga, Breugelmans, Chasiotis, & Sam, 2011)

على سبيل المثال: مفهوم "النجاح الأكاديمي" قد يُفهم في الثقافة العربية على أنه تحقيق ذاتي، بينما في الثقافة العربية قد يُفسّر كالالتزام أسري أو واجب اجتماعي، فمثل هذا الاختلاف في البنية المفاهيمية قد يجعل استخدام اختبار غربي لقياس (الدافعية) في البيئة العربية غير دقيق دون تكييف مفاهيمي مناسب.

4- الدراسات السابقة

1.4- دراسة نعموني (2014)

عنوانها: التكييف الثقافي للاختبارات النفسية للبيئة العربية، تكلم عن بعض المعايير التي يجب على مكيف الاختبار الالتزام بها، أهمها التأكد من صدقه وعرض أسباب منطقية لإحداث إضافات على الاختبار، وكذلك عند ترجمة الاختبار إلى لغة أخرى يجب التثبت من مصداقيتها وجدارتها، ومقارنة نسختي الاختبار وتدوين النتائج.

2.4- دراسة بوسالم (2016)

بعنوان : الصدق الثقافي للاختبارات النفسية المطبقة في الجزائر ومشكلة التكييف من أجل الصلاحية.

الاختبار المبني في بيئة معينة غير صالح للتطبيق المباشر في بيئات أخرى تختلف من حيث الخصوصية الثقافية والاجتماعية في ظل المقاربات التي قدمتها دراسات علم النفس عبر الثقافي ونتائج هذه الدراسة؛

فالمفاهيم لا يمكن استيرادها فهي تعكس قيم الثقافة والخصوصية التي تطورت فيها، كما تحتوي المفاهيم على قيم وآراء تعمل على تشويه الإدراك وإعاقة الفهم العميق عند تطبيقه في بيئة أخرى، تكون بنية الاختبار منحازة عند عدم التماثل في تعريف بنية السمة المراد قياسها عبر الثقافات فالسمة نفسها قد يكون لها معان مختلفة من ثقافة إلى أخرى.

3.4- دراسة عباس (2017)

ركز على ضرورة تكيف الاختبارات ذات المنشأ الغربي، نظرا لخصوصية الثقافات وتعددتها وتنوع بيئاتها، والتي تشمل قواعد الدرجات ولغة التعليمات، وألفة الاختبار وتكافؤ البنود، وبنية الاختبار وإدارته وتكافؤ المنهج، وصدق الاختبار وخصوصية الفئة المستهدفة ومعايير الاختبار، لذا وجب التأكد منها للحصول على اختبار صالح.

4.4- دراسة بوكراع (2020)

دعت للتركيز في عملية التكيف على: الترجمة الأولية والترجمة الراجعة، ثم دراسة تكيف كل بند للثقافة المتلقية، مع إمكانية تعديلها ثم القيام بالدراسة الاستطلاعية، ثم يجري استخدام النسخة التجريبية حسب الأعراف الثقافية والممارسات والعادات، مع ضرورة احترام تكافؤ المحتوى، والتكافؤ الدلالي والتكافؤ التقني، وتكافؤ المعايير والتكافؤ المفاهيمي، بأن تقيس الأداة نفس البناء النظري في كل ثقافة.

5.4- دراسة تلمساني وبلعزوق (2021)

تكلمتا عن الاختلافات الجوهرية الحاصلة بين المجتمعات من الجانب الثقافي واللغوي والذي جعل من تطبيق اختبارات الذكاء في صورتها الأصلية -أي من دون تكيف- تعاني من مشكلة الانحياز الثقافي.

6.4- دراسة علي تودرت (2023)

هدفت إلى التأكيد على الإطار المفاهيمي لتكيف الاختبارات النفسية، وكذا اقتراح إجراءات التحقق من تكافؤها، فتطرق إلى مفهوم العبر ثقافي ومفهوم التقنين، والفرق بين الترجمة والتكيف، ومفهوم الانحياز في (البيئة، المنهج، البند)، إضافة إلى مفهوم التكافؤ.

5- مناقشة الدراسات السابقة

كل هذه الدراسات السابقة تتناول جوانب من التأسيس النظري لعملية تكيف الاختبارات النفسية؛ وكل هذه الدراسات تدعو إلى ضرورة تكيف الاختبارات النفسية المصممة في بيئات أخرى وخاصة البيئات الغربية، وهذا ما كان واضحا بصفة أكبر في دراسة بوسالم (2016)، حيث صرح أنه لا يصلح الاختبار المصمم

في بيئة أخرى للتطبيق أبداً في البيئة المستهدفة من دون تكيف، وكذلك أيضاً دراسة عباس (2017) التي ركزت على ضرورة تكيف الاختبارات النفسية المصممة في البيئة الغربية نظراً لخصوصيتها الثقافية والبيئية؛ وقد شددت دراسة تلمساني وبلعزوق (2021) في هذا الجانب بحيث لو طبق الاختبار الغربي من دون تكيف فلا شك من وقوع الانحياز الثقافي وذلك نظراً للاختلافات الجوهرية الثقافية واللغوية.

وبالنسبة إلى جانب ترجمة الاختبارات الغربية فقد دعت بعض الدراسات إلى التثبت في ترجمة الاختبار إلى اللغة المستهدفة، مثل دراسة نعومي (2014)، ودراسة بوكراع (2020) وقد ركزت على الترجمة الأولية والترجمة الراجعة أي الترجمة العكسية.

وأما من جانب المفاهيم والمعاني فقد تناولت دراسة بوسالم (2017) المفاهيم والمعاني وارتباطها الوثيق بالعوامل البيئية، وأن المفاهيم تحتوي بالضرورة قيم الثقافة والخصوصية التي تطورت فيها فلا يمكن استيرادها كما هي، وأن ذلك مدعاة لانحياز البنية؛ وكما دعت دراسة بوكراع (2020) إلى ضرورة احترام التكافؤ بأنواعه وخاصة التكافؤ الدلالي والمفاهيمي، وكذلك أكدت دراسة علي تودرت (2023) على الإطار المفاهيمي لعملية التكيف بصفة عامة والذي يشمل مفاهيم التكافؤ العبر ثقافي والانحياز في البنية.

وجاءت هذه الدراسة لتسلط الضوء على خطوة واحدة مهمة جداً في عملية تكيف الاختبارات النفسية وهي الخطوة التي يجب البدء بها، ولم تعطها كثير من الدراسات حقها في الإيضاح والتتظير لها، والتي تتمثل في التحليل المفاهيمي للبنية التي يقيسها الاختبار، وذلك تحقيقاً لصلاحية البنية وموثوقية التكيف وتقدياً للانحياز الثقافي وتقدياً لانحياز البنية، وحتى تتم عملية القياس على أساس واضح وصادق فعلاً، فيكون قياس المفهوم على ما هو مفهوم في البيئة المستهدفة لا على ما هو مفهوم في البيئة الأصلية للاختبار.

6- أهمية التحليل المفاهيمي في تكيف الاختبارات النفسية

تؤكد الجمعية الدولية للاختبارات (ITC) في دليلها لعام (2017) على أن أولى مراحل التكيف هي التحليل النظري للمفهوم، وذلك لتحديد درجة التكافؤ المفاهيمي بين الثقافتين؛ حيث يُقصد بالتكافؤ المفاهيمي (Conceptual Equivalence) أن يقيس الاختبار نفس البناء النفسي في الثقافتين بغض النظر عن اللغة أو الرموز المستخدمة. (ITC, 2017)

وغياب هذا التكافؤ يؤدي إلى خطأ منهجي يُعرف بالانحياز البنيوي (Construct Bias)، حيث يكون الاختبار لا يقيس المفهوم ذاته في الثقافات المختلفة. (Van de Vijver & Tanzer, 2004)

فالتحليل المفاهيمي عند تكييف الاختبارات النفسية يعني فحص البنية المفاهيمية (construct) التي يقيسها الاختبار الأصلي ثم التحقق مما إذا كانت هذه البنية أو المفهوم نفسه مفهوماً متطابقاً أو ذا دلالة مماثلة في الثقافة أو اللغة الجديدة التي تكيف الاختبار إليها.

وقد ناقش (Hambleton, Merenda & Spielberger) أهمية التحليل المفاهيمي ضمن الإطار المنهجي لتكييف الاختبارات في كتابهم بعنوان (Adapting Educational and Psychological Tests for Cross-Cultural Assessment Issues, Designs, and Technical Guidelines for Adapting Tests) يتناول "القضايا المفاهيمية والمنهجية" مثل التحليل البنائي، التكافؤ، الانحياز البنوي، وقد أكد على ضرورة التحليل البنائي كخطوة أساسية من خطوات تكييف الاختبارات النفسية (2005, p. 3-38).

وتتجلى أهمية هذا التحليل في عدة نقاط رئيسية:

1.6- ضمان صلاحية البنية (Construct Validity)

قد يختلف مفهوم السمة التي يقيسها الاختبار من ثقافة إلى أخرى، فما يُعتبر جزءاً من الذكاء أو الشخصية في ثقافة معينة قد لا يكون بنفس المحتوى أو الأهمية في ثقافة أخرى، فإذا لم يتم تحليل المفهوم بشكل صحيح، فقد يؤدي نقل الاختبار مباشرة (ترجمة فقط) إلى تحيز في البنية (construct bias)، بحيث تكون البنية التي يقيسها الاختبار الأصلي غير متطابقة مع البنية في الثقافة الجديدة.

وهناك أوجه متعددة للانحياز كما ذكرها (van de Vijver, & Tanzer) حيث يوضحان تقسيم الانحياز إلى ثلاثة مستويات رئيسية: انحياز البنية (construct bias)، انحياز الطريقة (method bias)، وانحياز البند (item bias) (1997, p. 263-280)؛ وهو ما يؤكد ضرورة التحليل المفاهيمي تجنباً للانحياز بمستوياته المختلفة وتحقيقاً لصلاحية البنية.

وكما جاء في كتاب (Hambleton, Merenda & Spielberger; 2005) حيث يناقش الباحثان (Poortinga, & van de Vijver) موضوع تكييف الاختبارات، فيؤكدان على أن "العناصر المكونة للبنية (مثل السلوكيات، المواقف، المعايير)" قد تختلف عبر الثقافات، مما يجعل من الضرورة إجراء تحليل مفاهيمي لتحديد تلك الاختلافات؛ بل قالوا لضمان صلاح البنية يجب التحقق تجريبياً من أن البنية النفسية في الثقافة الأصلية تُترجم أو تُفهم بشكل مشابه في الثقافة الهدف، وليس فقط الاعتماد على الترجمة اللغوية (p. 39-64).

2.6- الكشف عن الانحياز الثقافي (Cultural Bias)

من خلال التحليل المفاهيمي، يمكن تحديد وجود إنحياز مثل إنحياز البنية (construct bias)، فقد يكون المفهوم نفسه يختلف من ثقافة إلى أخرى؛ أو إنحياز البنود (item bias)، فتكون بعض البنود غير مناسبة ثقافياً؛ وكما ذكرت (علي تودرت) في مقال بعنوان: "الإطار المفاهيمي والمنهجي لتكييف الاختبارات والمقاييس النفسية عبر الثقافات"، أن من المفاهيم المهمة: "مفهوم الانحياز وأنواعه (انحياز البنية، الانحياز المنهجي، الانحياز البند)" والتي يجب دراستها ضمن عملية التكيف. (2023)

لذا يؤكد الباحثان (van de Vijver & Poortinga) على ضرورة إجراء تحليل مفاهيمي للتحقق أن البنية نفسها مفهومة ومكوّنة بالمثل في الثقافة الهدف (2004, p. 39-44).

3.6 - تحقيق التكافؤ (Equivalence)

لا يقتصر الهدف من التكيف على الترجمة اللغوية فقط، بل يسعى إلى أن يكون الاختبار المكيف يقيس نفس المفهوم بطريقة صحيحة ومتساوية مع النسخة الأصلية، فالتحليل المفاهيمي يساعد في تحديد الأنواع المختلفة من التكافؤ التي يجب التحقق منها: التكافؤ اللغوي، التكافؤ البنوي، التكافؤ السيكميترّي، والتكافؤ النفسي أيضاً؛ كما جاء في إرشادات اللجنة الدولية للاختبارات (ITC, 2017) بل وشددت على أهمية هذه الأنواع من التكافؤ ضمن عملية التكيف.

وكما أكدت (بوكراع) في مقال بعنوان (بناء وتكييف المقاييس النفسية والتربوية) أن خصوصية المفاهيم التي قد تتأثر بالسياق الاجتماعي والثقافي مما يجعل من التحليل المفاهيمي ضرورة منهجية أثناء عملية التكيف (2020، ص 177-190).

4.6 - التفسير السليم للنتائج

إذا لم يُجرَ التحليل المفاهيمي بشكل جيد، فقد تكون الدرجات الناتجة عن الاختبار المكيف غير قابلة للمقارنة مباشرة مع الدرجات الناتجة عن الاختبار الأصلي، مما قد يؤدي إلى تفسيرات خاطئة، فتحليل المفهوم يساعد الباحثين والممارسين النفسيين على تفسير نتائج تطبيق الاختبارات المكيفة بشكل صحيح.

5.6 - مصداقية وموثوقية التكيف

يساهم التحليل المفاهيمي في بناء الثقة على أن الاختبار بعد التكيف لا يزال موثوقاً ويقاس ما يفترض أن يقيسه في السياق الثقافي الجديد؛ كما أنه يقلل من المخاطر التي قد تنتج عن استخدام اختبارات غير مناسبة ثقافياً، حتى لا ينتج عنها أحكاماً مضللة أو قرارات غير عادلة.

7 - خطوات التحليل المفاهيمي

يُعد التحليل المفاهيمي خطوة أساسية تأسيسية في تكييف الاختبارات النفسية، إذ يمثل الإطار الأولي الذي يُحدّد من خلاله مدى ملاءمة البنية النفسية المراد قياسها للثقافة الهدف؛ وقد حددت للتحليل المفاهيمي سبع خطوات كالآتي:

1.7- تحديد البنية النفسية الأساسية

تحديد البنية النفسية التي يقيسها الاختبار الأصلي، وتحليل المكونات النظرية التي يقوم عليها المفهوم، بما يشمل السلوكيات، والمعتقدات، والدلالات اللغوية المرتبطة به؛ يوضح هامبلتون وزملاؤه (2005) أن هذه الخطوة تقتضي فحص الخصائص التعريفية للمفهوم وتحليل طريقة تشكّله نظريًا وسلوكيًا في الثقافة الأصلية قبل نقله إلى ثقافة جديدة، فتبدأ العملية بتحليل المفهوم النفسي وماذا يتعلق به في البيئة التي صُمم فيها الاختبار، من خلال مراجعة أدبياته، وتعريفاته النظرية، ومؤشراته السلوكية (Hambleton, Merenda, & Spielberger, 2005, p. 10-12).

ثم يقوم الباحث بدراسة بنية ذلك المفهوم ومتعلقاته في الثقافة المستهدفة، وذلك بأن يجري تحليلًا ثقافيًا للمفهوم ذاته ومكوناته في البيئة الجديدة، هل يُستخدم بنفس المعنى أم بمعنى مختلف؟ هل يُعبّر عنه بسلوكيات متشابهة أم مختلفة؟

على سبيل المثال، مفهوم "القلق الاجتماعي" في الثقافة الغربية يُعبّر عنه غالبًا بتجنّب المواقف الاجتماعية، أما في الثقافة العربية فيرتبط أكثر بمخاوف التقييم السلبي أو إنتقاد الآخرين.

2.7- تحديد مدى توافق البنية النفسية مع الثقافة الهدف

وهي خطوة محورية تهدف إلى التحقق من وجود المفهوم نفسه في البيئة الجديدة، وعدم اختلاف دلالاته أو مظاهره السلوكية؛ حيث يشير فان دي فيفر وبورتينغا (2004) إلى أن اختلاف الدلالة المفاهيمية قد يؤدي إلى ما يسمّى بـ انحياز البنية (Construct Bias)، وهو انحياز ينشأ عندما لا تكون مكونات المفهوم متماثلة بين الثقافات، مما يجعل التحليل المفاهيمي ضرورة قبل أي خطوة لغوية أو إحصائية؛ (Van de Vijver & Poortinga, 2004, p. 40-44).

أما الدليل (ITC, 2017) فهو يذكر صراحة أن إحدى خطوات التكيف هي معالجة تكافؤ البنية (construct equivalence) وأنه ينبغي تقديم أدلة إحصائية على تكافؤ البنية مثل التحليل العاملي الاستكشافي والتحليل العاملي التوكيدي (EFA, CFA) ومقارنة الشبكات النومولوجية) وذلك بإجراء المقارنة بين البيئة المصدر والبيئة الهدف (2017, p. 7).

ففي هذه الخطوة تتم المقارنة بين المعنيين وتحديد أوجه الاتفاق والاختلاف، حيث يتم تحديد العناصر المشتركة بين الثقافتين والعناصر المختلفة وتلك التي تحتاج إلى تعديل، وكما توصي (Van de Vijver & Leung, 1997) باستخدام ما يسمى بتحليل المعنى المشترك (Shared Meaning Analysis) لتحديد أوجه التوافق البنائي.

مثلا في عملية تكييف مقياس تقدير الذات (Self-Esteem Scale) من الثقافة الأمريكية إلى العربية، وُجد أن بعض الفقرات تتحدث عن الاستقلالية الفردية كدليل على تقدير الذات، وهو ما قد لا يكون متسقاً مع الثقافة العربية التي تُقدّر الانتماء الأسري والجماعي، لذلك وجب تعديل الفقرات لتعبر عن القيمة الذاتية ضمن الجماعة، وهو ما يمثل تكييفاً مفاهيمياً أكثر دقة. (Al-Sheikh & Mousa, 2019)

3.7- تحليل المكونات السلوكية والفعلية للمفهوم

أي فحص السلوكيات أو المؤشرات التي تعبر عن البنية النفسية في كل من الثقافة الأصلية والثقافة المستهدفة، فحتى إن وُجد المفهوم نفسه في الثقافتين، فقد تختلف مظاهره السلوكية أو الأدوار الاجتماعية المرتبطة به، ويشير فان دي فيفر وبورتينغا (2004) إلى أن هذه المرحلة تسمح بالتمييز بين العناصر الجوهرية للمفهوم والعناصر المرتبطة فقط بسياق ثقافي معين، مما يساعد في تحديد مدى إمكانية نقل بنود الاختبار كما هي أو الحاجة إلى تعديلها (p. 45-48).

كما يؤكدان أيضا على الاختلاف في مكونات البنية، وذلك في كتاب (هامبلتون وآخرون) أن مكونات البنية (مثل السلوكيات، المواقف، المعايير الاجتماعية) قد تختلف بين الثقافات المختلفة (Hambleton, Merenda & Spielberger, 2005, p. 39-63).

وكما دعا بورسبوم (Borsboom) إلى ضرورة تبرير هذا التمثيل نظرياً أي تمثيل مكونات البنية النفسية للمفهوم الخفي الذي تقيسه (Borsboom, 2005, p. 49-84). فكيف يكون هناك تبرير منطقي إذا كانت مكونات البنية المفاهيمية في الثقافة الهدف ليست هي المكونات نفسها في الثقافة الأصل؟

4.7- تحليل شبكة العلاقات الدلالية والنظرية للمفهوم

وهو ما يُعرف بالشبكة النومولوجية (Nomological Network)، وهي خطوة يُنظر من خلالها إلى كيفية ارتباط البنية النفسية بمتغيرات أخرى في الثقافة الهدف، ومدى انسجام هذه العلاقات مع ما ورد في الأدبيات الأصلية، وقد شددت اللجنة الدولية للاختبارات (ITC, 2017) في إرشاداتها في هذا المجال على ضرورة مقارنة هذه الشبكات بين الثقافتين، مؤكدةً أن تكافؤ البنية لا يعتمد فقط على التعريف النظري، بل يجب أن يُفحص من خلال علاقاته بمتغيرات أخرى أيضاً.

فمثلا في اختبار الشخصية، إذا كان الانبساط في الثقافة الأصلية مرتبط بتحصيل شيء معين، فإنه علينا أن نحلل البنية المفاهيمية في الثقافة الهدف ونبحث عن مدى وجود هذه العلاقة الدلالية مع نفس المتغير أو متغير آخر، أم أنها غير موجودة أصلا.

5.7- تحديد مصادر الانحياز المحتملة

تلك المصادر المرتبطة بالمفهوم، حيث يجري تحليل ما إذا كانت بعض العناصر الجوهرية للمفهوم مرتبطة بثقافة معينة، مما قد يعرض الاختبار للانحياز إذا نُقل مباشرة دون تعديل، حيث يشرح فان دي فيفر وبورتينغا (2004) أن تقييم الانحياز في هذه المرحلة يساعد في اتخاذ قرار بشأن البنود التي يمكن الاحتفاظ بها والبنود التي ينبغي حذفها أو تعديلها (p. 49-52).

فالمطلوب في هذه الخطوة هو أنه بعد قيامنا بالتحليل المفاهيمي، يتم تعديل أو حذف البنود غير الملائمة أي يجب تعديل أو إزالة البنود التي قد تسبب إنحيازًا أو تشويه للدلالة المفاهيمية؛ فمثلا في اختبار الشخصية نجد بندا متعلقا بحضور الحفلات، قد يحتاج هذا البند إلى تعديل وإعادة الصياغة لتناسب مع عادات المجتمع المحلي والثقافة الهدف.

6.7- تحديد مستوى التكافؤ المطلوب

ويشمل التكافؤ أن يكون (مفاهيمي، سلوكي، بنائي، دلالي) بين النسختين الأصلية والمكيفة، وهي خطوة ضرورية لتوجيه عملية الترجمة والتحكيم اللغوي، والتحليل الإحصائي لاحقًا، حيث توصي إرشادات (ITC, 2017) بأن يُحدّد الباحث بشكل واضح ما إذا كان الهدف هو تكافؤ كامل بين النسختين أو تكافؤ وظيفي فقط، إذ يترتب على ذلك طبيعة الإجراءات اللاحقة في عملية التكييف.

7.7- التوثيق والمراجعة

بعد إتمام جميع الخطوات السابقة يجب على الباحث القيام بعملية التوثيق والمراجعة والتي تمثل الخطوة الختامية، والتي يتم فيها توثيق خطوات التحليل المفاهيمي كاملة لضمان الشفافية وقابلية المراجعة، حيث يقوم بكتابة تقرير شامل لكل الإجراءات، وقد شدد (Hambleton and al) على ضرورة التوثيق المنهجي لكل خطوة، وذلك لضمان الصدق والثبات في عملية التكييف (2005, p. 43).

8- مناقشة نتائج الدراسة

بعد أن أوضحنا أهمية التحليل المفاهيمي في تكييف الاختبارات النفسية، والذي يعتبر كإجابة عن التساؤل الأول للدراسة الحالية، حيث تشمل الأهمية خمسة عناصر أساسية والتي هي: ضمان صلاحية البنية، الكشف عن الانحياز الثقافي، تحقيق التكافؤ، التفسير السليم للنتائج، مصداقية وموثوقية التكييف.

وكانت طريقة تناول هذه العناصر تفصيلية مقارنة بما كتبه بعض الباحثين في ذات المجال، وهي في الجملة متوافقة مع ما سعت إليه اللجنة الدولية للاختبارات (ITC, 2017)، والجمعية الأمريكية لعلم النفس (APA, 2014)، وكذلك تتوافق جزئياً مع كتبه كل من (Hambleton, Merenda, & Spielberger, 2005)، و (van de Vijver, & Tanzer, 1997)، و (van de Vijver & Poortinga, 2004)، وكذلك تتوافق ضمناً مع تناوله (بوكراع، 2020) في دراسته.

وتم في هذه الدراسة أيضاً التطرق إلى خطوات التحليل المفاهيمي بطريقة تفصيلية إجرائية عملية يمكن للباحث أن يلتزم بها عند قيامه بتكييف الاختبار النفسي إذا كان يريد الحصول على أداة ذات مصداقية وموثوقية عالية حقيقة ومضمونا، وهذه الخطوات تمثل الإجابة عن التساؤل الثاني للدراسة الحالية.

وتشمل عملية التحليل المفاهيمي سبع خطوات وهي: تحديد البنية النفسية الأساسية، تحديد مدى توافق البنية النفسية مع الثقافة الهدف، تحليل المكونات السلوكية والفعلية للمفهوم، تحليل شبكة العلاقات الدلالية والنظرية للمفهوم، تحديد مصادر الانحياز المحتملة، تحديد مستوى التكافؤ المطلوب، التوثيق والمراجعة.

فهذه الدراسة تعتبر أول دراسة تطرقت إلى هذا التفصيل الدقيق في خطوات المرحلة الأولى من مراحل تكييف الاختبارات النفسية ألا وهي التحليل المفاهيمي؛ أما من حيث المضمون العام أو تناول بعض الخطوات فهي متوافقة مع ما ذكره بعض الباحثين في كتبهم وأبحاثهم والتي على رأسها ما كتبه (Hambleton, Merenda, & Spielberger, 2005)، و (Borsboom, 2005)، وكذلك الدليل (ITC, 2017)، و (van de Vijver & Poortinga, 2004).

9- خلاصة وتوصيات

- إن إجراء تحليل مفاهيمي شامل وفق هذه الخطوات يضمن أن البنية التي يقيسها الاختبار المكيف هي البنية نفسها المقاسة في الاختبار الأصلي، أو تمكن الباحث من إعطاء تعديلات مناسبة بحسب مدى التكافؤ، مما يقلل من الانحياز الثقافي، ويرفع من صلاحية الترجمة، ويدعم الصدق البنائي والموثوقية في تطبيق الاختبار المكيف.
- إن الاتجاه السائد وخاصة عند (APA) و (ITC)، حيث يؤكدون أن التحليل المفاهيمي (Conceptual Analysis) هو المرحلة الأولى إلزامياً قبل البدء في أي ترجمة أو تكييف، وذلك لغرض ضمان أن البنية النفسية موجودة في الثقافة الهدف بنفس المعنى، أو مع اختلافات يجب مراعاتها.

- التحليل المفاهيمي هو حجر الأساس في تكييف الاختبارات النفسية: فبدون فهم دقيق لمفهوم البنية التي يقيسها الاختبار في كل من الثقافة الأصلية والجديدة، يكون التكييف غير مكتمل مما قد يؤثر على صلاحية الاختبار.
- يجب على الباحثين والممارسين النفسيين الذين يقومون بتكييف الاختبارات أن يجروا تحليلاً مفاهيمياً دقيقاً قبل الترجمة، ويحددوا أنواع التكافؤ المطلوبة، ثم يتحققوا من هذه الأنواع (لغويًا، بنيويًا، نفسيًا، إحصائيًا).
- من المهم أيضًا اتباع الإرشادات في مجال تكييف الاختبارات، مثل إرشادات اللجنة الدولية للاختبارات (ITC) لضمان أن التكييف يتم بطريقة علمية وأخلاقية.

10- قائمة المراجع

1.10- المراجع العربية

- بوسالم، عبد العزيز. (2016). الصدق الثقافي للاختبارات النفسية المطبقة في الجزائر ومشكلة التكييف من أجل الصلاحية. *مجلة العلوم النفسية والتربوية*. 4(2). ص ص. 185-196.
- بوكراع، إيمان. (2020). بناء وتكييف المقاييس النفسية والتربوية: المفاهيم الأساسية والخطوات المنهجية. *مجلة العلوم الإنسانية*، 31(2)، ص ص. 177-190.
- تلمساني، فاطمة، بلعزوق، سميرة. (2021). واقع تقنين وتكييف اختبارات الذكاء في البيئة العربية (مقياس وكسلر نموذجًا). *المجلة الجزائرية للأبحاث والدراسات*. 4(4). ص ص. 223-236.
- عباس، عبد الرحمان. (2017). الانحياز الثقافي للاختبارات النفسية ذات المنشأ الغربي في البيئة الجزائرية. *مجلة السراج في التربية وقضايا المجتمع*. 1(1). ص ص. 134-150.
- علي تودرت، نسيم. (2023). الإطار المفاهيمي والمنهجي لتكييف الاختبارات والمقاييس النفسية عبر الثقافات. *مجلة دراسات نفسية وتربوية*. 39(1). ص ص. 27-46.
- نعموني، مراد. (2014). التكييف الثقافي للاختبارات النفسية للبيئة العربية. *مجلة الحكمة للدراسات التربوية والنفسية*. 2(3). ص ص. 153-164.

2.10- المراجع الأجنبية

- Al-Sheikh, N., & Mousa, R. (2019). Cross-cultural adaptation of the Rosenberg Self-Esteem Scale to Arabic contexts. *Journal of Psychological Studies*, 12(3), 45–62.

- American Educational Research Association, American Psychological Association, & National Council on Measurement in Education. (2014). *Standards for Educational and Psychological Testing* (7th ed.). Washington, DC: AERA.
- Berry, J. W., Poortinga, Y. H., Breugelmans, S., Chasiotis, A., & Sam, D. (2011). *Cross-cultural psychology: Research and applications* (3rd ed.). Cambridge University Press.
- Borsboom, D. (2005). *Measuring the mind: Conceptual issues in contemporary psychometrics*. Cambridge, UK: Cambridge University Press.
- Hambleton, R. K. (2005). *Issues, designs, and technical guidelines for adapting tests*. In R. K. Hambleton, P. F. Merenda, & C. D. Spielberger (Eds.), *Adapting educational and psychological tests for cross-cultural assessment* (pp. 3–38). Lawrence Erlbaum Associates.
- Hambleton, R. K., Merenda, P. F., & Spielberger, C. D. (2005). *Adapting educational and psychological tests for cross-cultural assessment*. Lawrence Erlbaum.
- International Test Commission. (2017). *ITC Guidelines for Translating and Adapting Tests (Second edition)*. International Test Commission.
- Van de Vijver, F. J. R., & Leung, K. (1997). *Methods and data analysis for cross-cultural research*. Thousand Oaks, CA: Sage Publications.
- Van de Vijver, F. J. R., & Poortinga, Y. H. (2004). Conceptual and methodological issues in adapting tests. In R. K. Hambleton, P. F. Merenda, & C. D. Spielberger (Eds.), *Adapting educational and psychological tests for cross-cultural assessment* (pp. 39–63). Lawrence Erlbaum Associates.
- Van de Vijver, F. J. R., & Tanzer, N. K. (1997). Bias and equivalence in cross-cultural assessment: An overview. *European Review of Applied Psychology*, 47, 263–280.
- Van de Vijver, F. J. R., & Tanzer, N. K. (2004). Bias and equivalence in cross-cultural assessment. *Revue Européenne de Psychologie Appliquée*, 54(2), 119–135.